الإستجابة إلى البرهان الإلهي

«وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ يَحْرُسُونَ يَسُوعَ فَلَمَّا رَأَوْا الزَّلْزَلَةَ وَمَا كَانَ، خَافُوا جِدًّا وَقَالُوا: حَقًّا كَانَ هذَا ابْنَ اللهِ!» (متى ٢٧: ٥٤؛ أنظر مرقس ١٥: ٣٩؛ لوقا ٢٣: ٤٧).

تأليف: ادي كلور

ذكر ثلاثة من كُتَّاب الإنجيل قائد المئة الذي كان واقفاً تحت الصليب وأعلن عن إيمانه بيسوع. قال متى انه عندما رأى قائد المئة و«الَّذِينَ مَعَهُ» ما قد حدث خافوا واعترفوا بعض الشيء بمن كان يسوع، إذ قال عنه قائد المئة أكثر عبارة مخيفة ومهيمنة (أنظر متى ٢٧: ٥٤). قال مرقس بان قائد المئة، إذ تعجب بالطريقة التي مات بها يسوع، صرح علانياً: «حَقًّا كَانَ هذَا الإِنْسَانُ ابْنَ الله!» (مرقس ١٥: ٣٩). ولوقا أيضاً قال أنَ قائد المئة عندما اقنعته الطريقة المتعمدة الهادئة التي أسلم بها يسوع الروح «مَجَّدَ اللهَ قَائِلاً: بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هذَا الإِنْسَانُ بَارًّا!» (لوقا ٢٣: ٤٧).

يختبر يسوع قلوبنا دائماً، ويفعل هذا بصفة خاصة بعظمة موته. هو «الطريق والحق والحياة ...» (يوحنا ١٤: ٦)، ولكن علينا أن نقرر ماذا نفعل به. والقرار الذي نتخذه يكشف عن نوعية قلوبنا.

ورد ذكر أربعة قواد مئة مختلفين في كتاب العهد الجديد، وتم تصوير كل منهم في ضوء المدح. أولاً، هناك قائد المئة الذي قال عنه اليهود: «لأَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا، وَهُوَ بَنَى لَنَا الْمَجْمَعَ» (لوقا ٧: ٥). وقال يسوع عن إيمان هذا الرجل الصادق: «أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هذَا!» (لوقا ٧: ٩). ثانياً، نرى في الأصحاح ١٠ من كتاب أعمال الرسل قائد مئة محترم جداً من الكتيبة الإيطالية. اسمه كرنيليوس «وَهُوَ تَقِيٌّ وَخَائِفُ الله مَعَ جَمِيعِ بَيْتِهِ، يَصْنَعُ حَسَنَاتٍ كَثِيرَةً لِلشَّعْبِ، وَيُصَلِّي إِلَى اللهِ فِي كُلِّ حِينٍ» (أعمال ١٠: ٢). كان هذا أول أممي يهتدي إلى المسيح. ثالثاً، لما أُخِذَ بولس إلى روما سُلِمَ إلى قائد مئة اسمه يوليوس من كتيبة أغسطس، قال لوقا عنه انه عامل «بُولُسَ بِالرِّفْقِ، وَأَذِنَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَصْدِقَائِهِ لِيَحْصُلَ عَلَى عِنَايَةٍ مِنْهُمْ» (أعمال ٢٧: ٣). قال لوقا أيضاً انه في وقت لاحق من تلك الرحلة تدخل {قائد المئة هذا} وأنقذ حياة بولس (أعمال ٢٧: ٤٢ و٤٣). قائد المئة الرابع هو الذي أعلن تحت الصليب، أي عند نهاية الصلب ما آمن به من شخصية يسوع (متى ٢٧: ٥٤؛ مرقس ١٥: ٣٩؛ لوقا ٢٣: ٤٧).

قال كاتب ما في القرن الثاني اسمه بوليبيوس بانه عادة يتم تعيين أفضل الرجال في الجيش لمنصب قائد مئة. بهذه المختطفات عن هؤلاء قادة مئة، يساند العهد الجديد شهادة ذلك الكاتب.

تأمل في ما قد سمعه ورآه قائد المئة هذا الذي كان عند الصليب. إذا كان قد أُعْطِيَت له مسؤولية الصلب بكل مراحلها، فلا بد انه تولى مسؤولية يسوع من وقت محاكمته أمام بيلاطس وحتى الصلب بحد ذاته. وبهذا يكون قد رأى ليس أحداث الصلب فحسب، بل رأى أيضاً جميع الأحداث التي أدت إلى الصلب. شهد الضرب بالسياط، وكان حاضراً عندما كان الناس يستهزؤون بملك يسوع. ورأى السخرية التي كان يعبر بها إكليل الشوك الموضوع على رأس يسوع، والثوب الأرجواني الذي لفوه حوله، والقصبة التي تمثل الصولجان في يديه. رأى الناس يبصقون على يسوع بأبشع طريقة

استهزائية. علاوة على كل هذا، يتضح انه كان المسؤول أيضاً عن العسكر الذين قادوا الموكب على طريق الأحزان إلى الجمجمة. لقد كان حاضراً عندما أُلْزِمَ سمعان على حمل صليب يسوع. ولا شك انه رأى من مسافة بضع أقدام فقط الطريقة الجليلة التي احتمل بها يسوع هذا الخزي والاستهزاء والسخرية.

مع انه يصعب تصوير هذا، إلا انه كان واقفاً بجانب يسوع عندما سمروه على الصليب؛ وربما ساعد في رفع الصليب وتثبيته عمودياً في مكانه؛ وقضى ست ساعات بجانب الصليب يراقب هذا المشهد البشع. عندما حلت الظلمة على الأرض في منتصف النهار، رأها وشعر بها وارتعد من سوادها؛ ولكن بينما ترك الآخرون المشهد ورجعوا إلى بيوتهم، بقي هو هناك بقرب الصليب يحرس الضحايا. وأخيراً شعر بهزة أرضية تحت قدميه عندما تزلزلت الأرض والصخور تشققت (متى ٢٧: ٥١).

وفوق كل هذا، رأى يسوع عندما وضع حياته من أجل العالم. ربما سمع كل كلمة قالها المسيح من على الصليب، وشاهد تصرفه وسلوكه، وشاهد من قريب كيف أسلم ابن الله روحه بإرادته.

ربما قليلون فقط في تاريخ العالم حصلوا على الامتياز الذي كان لقائد المئة هذا. أصبحت جميع الدلائل التي قدمها الله بموت يسوع على الصليب لينشيء إيمان مستعرضة قدام عينيه! ماذا سيفعل بهذا الكم من الشهادة؟ قال لوقا أن بعض الناس فعلوا هذا: «وَكُلُّ الْجُمُوعِ الَّذِينَ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ لِهذَا الْمَنْظَرِ، لَمَّا أَبْصَرُوا مَا كَانَ، رَجَعُوا وَهُمْ يَقْرَعُونَ صُدُورَهُمْ» (لوقا ٢٣: ٤٨). ماذا يفعل قائد المئة هذا بما قد رأى وسمع؟

كان صادقاً بما فيه الكفاية ليعترف بهذه الشهادة. كان قائد المئة هذا صادقاً إلى حد لم يستطع فيه لهذا الوابل من الشهادة أن تفوت عليه. لا شك انه قال في نفسه: «لا بد أن أتأمل في هذه الأشياء وأفكر بها. فانها غير عادية بحيث لا يمكن أن أتغاضي عنها». كان إلى حد ما مثل موسى الذي رأى العليقة المتقدة وقال في نفسه: «أَمِيلُ الآنَ لأَنْظُرَ هذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لاَ تَحْتَرِقُ الْعُلَّيْقَةُ؟» (خروج ٣: ٣).

يتضح أن عدد كبير آخر من الناس لم يلاحظوا ما كان قدام عيونهم. نظروا ولكنهم لم يبصرون حقاً. قد يقال عنهم انهم كانوا يتعلمون في كل حين، ولم يستطيعوا أن يقبلوا إلى معرفة الحق أبداً (٢ تيموثاوس ٣: ٧). ولكن لم يكن الحال هكذ مع قائد المئة هذا.

كان صادقاً بما فيه الكفاية ليقبل الشهادة. لم يستطع قائد المئة هذا أن يدرس الشهادة فقط، بل عليه أن يقبلها. كانت الشهادة مكتملة وساحقة إلى حد لم يستطع أن يتجاهلها. كتب لوقا قائلاً: «فَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ مَا كَانَ، مَجَّدَ اللهَ قَائِلاً: بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هذَا الإِنْسَانُ بَارًّا!» (لوقا ٢٣: ٤٧).

لقد سمح لهذه الشهادة أن تأتي به إلى ثلاث خلاصات. أولاً، سمح لها أن تريه أن يسوع كان «بريئاً». لم يكن تجنب هذه الحقيقة أمراً ممكناً في ضوء تلك الظروف. إذا كان يسوع بريء، فلا يمكن أن يكون ابن الله؛ وإذا لم يكن هو ابن الله، لا يمكن أن يكون مخلصنا. يوجه الله شهادته دائماً نحو إقناع كل قلب صادق بان يسوع هو حمل الله البريء الذي ذُبِحَ من أجل خطيئة العالم.

ثانياً، سمح قائد المئة هذا للشهادة أن تقوده إلى تمجيد الله. يدل النص اليوناني على انه بدأ يمجد الله واستمر في تمجيده، النتيجة الأخيرة للإيمان هي دائماً تمجيد الله. لا نكون قد ربينا أولادنا إلا على تمجيد الله، ولا نكون قد قبلنا حقاً الشهادة المختصة بيسوع حتى نمجد الله.

ثالثاً، سمح للشهادة أن تحثه على أن يقول على مسامع الآخرين أن يسوع لم يكن بريئاً فحسب، بل كان أيضاً «ابن الله» (مرقس ١٥: ٣٩).

كان متواضعاً بما فيه الكفاية ليعترف بالشهادة علانياً. نعم لقد آمن هذا الرجل. صحيح أن هذا الموضوع يُنَاقش: هل استخلص فقط أن يسوع كان شخص خاص، أم استخلص انه كان بالحقيقة ابن الله؟ ما الذي استخلصه؟

لنتذكر أن محاكمة يسوع التي حضرها قائد المئة هذا وسمعها كانت عما قاله يسوع عن نفسه بانه ابن الله. إحدى الشكاوي الأخيرة التي قدمها اليهود على (البقية صفحة ٥٠)

يسوع هي «انه جعل نفسه معادلاً لله!» قالوا لبيلاطس: «لَنَا نَامُوسٌ، وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ، لأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللهِ» (يوحنا ١٩: ٧). ارتعب بيلاطس بسبب تهمتهم هذه فأخذ يسوع إلى دار الولاية لمزيد من
(تتمة من صفحة ٤٥)
التحري معه بخصوص هذا. لا شك أن قائد المئة هذا كان يعرف بعض ما قيل عند المحاكمة. عندما تأمل في شهادة تصرفات يسوع والظواهر فوق الطبيعية تتمة ما أحاط بموته، اقتنع بان يسوع كان بالحقيقة ما قاله عن نفسه. لكي نصل إلى تلك الحقيقة، ينبغي أن نزن سياق كل نص يتحدث عما قاله عن يسوع. عندما نفعل هذا، نصل إلى خلاصة أن قائد المئة هذا آمن بأن يسوع هو ابن الله قبل أعلان ذلك.

سيبقى قائد المئة هذا أبداً في الأسفار المقدسة كمثال لما يفعله القلب الصالح عند مواجهته بشهادة الله عمن هو يسوع. يدرس هذا النوع من القلب الشهادة بدقة، ويقبلها بإخلاص على انها حقيقة، ويقبلها كالحقيقة الرئيسية في الحياة.

السؤال الرئيسي لكل شخص هو: «ما الذي سأفعله بالحقيقة الأكبر عن الحياة وعن حقيقة يسوع بانه ابن الله؟».

❖-❖-❖-❖-❖

«... هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ، ٤وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى ... الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَأَعْطَى ثَمَرًا، بَعْضٌ مِئَةً وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلاَثِينَ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ» (متى ١٣: ٣-٩).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩